مذكرة

بشأن الآثار المسيحية التى أمكن تحقيقها فى أثنـــاء رحلة قسم الآثار للموسم ١٩٤٩

كان لرحلة قسم الآثار العامة فى هذا العام إلى جانب ناحية العاديات المصرية ودراستها وقراءة ما عليها من النصوص طابع فرعى جديد هو البحث عن مواقع الآثار التابعة لعهد متأخر فى فجر العصر الوسيط أو على وجه أخص الآثار المسيحية أو الرومانية والبيزنطية التى اختلطت أحياناً اختلاطاً شديداً بالآثار المصرية القديمة ، واعتنى علماء الاجبتولوجيا بدراسة القديم وتنظيفه مما هو أحدث منه ، فكان من جراء ذلك أن ظلت الآثار المسيحية بالرغم من أهميتها الفائقة فى القرون الأولى الميلادية نسياً منسياً

وقد وفقنا فى هذه الرحلة بصفة مبدئية إلى تحقيق بعض المواقع والعمائر الهامة من العصرين الرومانى والبيزنطى نجملها فيما يلى :

منطقة أسوان

١) دير القديس سمعان الشهير بدير أنبا هدره فى الصحراء الغربية على مسيرة نصف ساعة من البر الغربى ـ سابق للفتح العربى وجاء تخريبه على يد صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٧٢ م. وكثير من أجزائه الأساسية قائم إلى اليوم زارها الطلاب وحاضرناهم فيها . وكان تخريب هذا الدير فى أثناء الصراع الذى قام بين الدولة الإسلامية المصرية ومملكة النوبة المسيحية .

٢) دير مار جرجس أو القديس جاورجيوس على شقة إحدى التلال الغربية المطلة على النيل وهو خرب ومتهدم وحيطـــانه وعروشه قد وقعت فى داخله ولم يحفر فيه أحد .

٣) سلسلة من الحصون الواقعة على الجبال المتطرفة فى المناطق المتاخمة لمديرية أسوان على حافة الصحراء ، ولم نتمكن من الوصول إليها لضيق الوقت ووعورة المسالك المؤدية إليها ، والغالب أن هذه الحصون أديرة قديمة .

منطقه إسنا

بها عدد كبير من الآثار المسيحية العتيقة لأنها من المعاقل الكبرى لنشر تلك الديانة فى القرون الأولى ولقيـام كثير من آباء الرهبان من بين سكانها — ونحن وإن لم نستطع الوقوف على هذه المدينة لنسعى إلى زيارة ما يمكن اقتفاؤه من آثارها المسيحية ، إلا أننا نستطيع أن نسجل أسماء بعض الأديرة التى علمنا بوجودها بطريقة ثانوية .

١) دير الشهـــداء
٢) دير الفـاخورى
٣) دير أبى ســيفين
٤) دير مار جرجس

منطقه الأقصر

وفيها نوعان من المؤسسات المسيحية ، الأول مختلط بالآثار الوثنية القديمة

التى أعيد إستعماله بعد إعتناق المسيحية ، والثانى عبارة عن مؤسسات وأديرة مسيحية جديدة مستقلة . أما النوع الأول فيشمل :

١) إستعمال البهو الداخلى وقدس الأقداس من معبد الأقصر وتحويله إلى كنيسة ولا زالت آثار الرسوم المسيحية بالألوان العتيقة واضحة على جدران قدس الأقداس يكاد يتضح من بينها رسم الشاروبيم والصاروفيم ذوى الستة أجنحة .

٢) بقاء معبد الأقصر من ناحية الغرب قرب شاطىء النيل أسس كنيسة بيزنطية بعض أعمدتها لا يزال قائماً ويقال إنها من عهد الامبراطور جستنيان وهذا جائز إذا حكمنا على طبيعة عمدانها والمتخلف من رؤوس عمدانها وأسلوب البناء العام .

٣) الدير البحرى بالبر الغربى وهو الذى ابتنته الملكة حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشرة وقد أستعمل فعلا كدير فى العصر المسيحى ، والجناح الأعلى إلى ناحية الجنوب يشمل عدة مقاصيروحيطان تكتظ اكتظاظاً بالنقوش القبطية والصلبان المسيحية التى تختلط إختلاطاً بالنقوش والرسوم القديمة .

٤) دير المدينة وهو من مخلفات الأسرات القديمة المتأخرة ويقال إنه أيضاً أستعمل كدير مسيحى .

٥) وبمعبد الكرنك بعض أماكن إستعملها النساك المسيحيون من العهد الأول لاقامتهم من بينها فجوة فى مبانى أحد بيلونات تحتمس الثالث وحتشبسوت بها قبلة تدل دلالة واضحة على أن أحد الرهبان إتخذ منها قلاية يتعبد فيها .

ومن أمثلة النوع الثانى أى العائر المسيحية البحتة :

١) دير أنبا فوبامون بالبر الغربى فى سفح الجبال النائيه ويقال إن بناءه كان معاصراً لمؤسس حياة الشركة أو حركة الديرية المصرية القديمة القديس باخوميوس فى القرن الرابع الميلادى ـ وقد أجريت فيه حفريات على جانب كبير من الأهمية بواسطة جمعية الآثار القبطية ، وقد جمعت البعثة المكلفة بذلك عدداً هائلا من النقوش القبطية كما كشفت عن أساس الدير ، واستخرجت من آثاره عدة صناديق بها بعض « موميات » الرهبان والشقافة والخشب والصلبان وغير ذلك .

٢) دير محارب بالقرب من مدينة هابو وهو لا يزال قائماً فى جملته برعاية أحد قسوس القبط ، وقد زرناه ووجدنا أنه يتكون من كنيسة قديمة يرجع تاريخها إلى عهد الشهداء فى حكم الامبراطور دقلديانوس بالقرن الثالث الميلادى والجزء الأحدث والأكبر المضاف إليها يرجع إلى عصر متأخر نسبياً والكنيسة معروشة بالقباب ويتبعها رحبتان غير معروشتين لايواء الحجاج ومطاياهم وعند مدخله مصطبة كبيرة للجلوس وعلى يسار المدخل الفرن الخاص بعمل الخبز المقدس والقربان ويحيط بالدير حائط كامل ـ وقامت بعثة أمريكية بالحفر فيه .

وهنالك نوع ثالث لابد من تسجيله أيضاً هو تلك المغاور والصوامع التى تعدّ بالمئات على مرتفعات مختلفة فى جبال الأقصر الغربية من وادى الملوك ووادى الملكات وما بينهما من قبور الأشراف ، وبعضها لا شك كان عبارة عن قبور قديمة نحتت فى الصخر ، ويغلب ظنى أن عدداً كبيراً منها استعمله الرهبان المتوحّدون والنسّاك فى العصر المسيحى الأول من الرهبانية القديمة قبل نشأة حياة الشركة وتأسيس الأديرة النظامية .

كذلك وصل إلى علمى أنه فى البر الشرقى من الأقصر توجد بعض المبانى القديمة على حافة الوادى والصحراء لم نستطع الوصول إليها فى هذه المرحلة المبدئية لبعدها ووعورة مسالكها وماتتطلبه من الاستعداد وتستلزمه من النفقات ومن بينها على وجه أخص دير فى حالة جيدة اسمه « دير الشايب » .

منطقة الأقصر ـ نقادة :

هذا وقد تمكنا بمساعدة حضرة مفتش عام مصلحة الآثار بمنطقة الأقصر من القيام برحلة خاطفة فى المنطقة الأثرية الواقعة عند سفح التلال الغربية التى تحيط بالوادى والأرض الزراعية الممتدة على جانب النيل ، وقد تبينت لنا أهمية هذه المنطقة الفائقة فى العصر المسيحى الأول ، فقد أحصينا من المؤسسات التى لازالت أثارها منظورة ستة أديرة هى :

١) دير الملاك ـ وبجواره مذبح فى العراء .
٢) « القزاز .
٣) « أبو حطب .
٤) « المجمع .
٥) « المقدس .
٦) « أبى الليف .

وهذه هى الأسماء المعروفة بها تلك الأديرة بين سكان المنطقة وجميعها من القرون المسيحية الأولى وأغلب الظن أنها كانت من المؤسسات الباخومية التى خضعت فى القرنين الرابع والخامس لقوانين القديس باخوميوس الشهيرة ـ

ويلوح أن الأديرة الستة التى سجلنا أسماءها هنا ليست هى كل ما فى هذه المنطقة وإنما يوجد غيرها مما يمكن الكشف عنه بالبحث والتنقيب ومقارنة الأصول التاريخية المسيحية بتلك المناطق ودراستها دراسة دقيقة .

والواقع أن هذه المؤسسات المسيحية القديمة التى كانت ملء كل الاهال حتى أنها لم تظفر بكثير أو قليل من عناية الأثريين أو مصلحة الآثار بدأت تستلفت النظر بدليل الحفريات التى قامت بها جمعية الآثار القبطية فى دير أنبا فويبامون بمنطقة الأقصر الغربية ، ودليل آخر فى هذه المنطقة بذات على مقربة من نقادة حيث يقوم المتحف القبطى بالاشتراك مع هيئة أجنبية بحفريات فى دير القزاز تمخضت عن كشوف لها قيمتها الأثرية والتاريخية ، فقد عثر المنقبون فيه على كميات من البردى والشقافة المكتوبة والصلبان والأخشاب المنقوشة والأقمشة وغير ذلك مما سيصير إرساله بواسطة تفتيش الآثار إلى المتحف القبطى عن طريق المصلحة فى القريب العاجل لتبويبه وترتيبه وتجهيزه للعرض والدراسة .

هذا قليل من كثير تمكننا من تسجيله على هامش رحلة قسم الآثار . ونأمل أن تتاح لنا الفرصة من الاضافة إليه حتى يكتمل ـ والواقع أن منطقة الصعيد الأعلى أى من الأقصر إلى أسوان مع مالها من الأهمية فى هذه الناحية الأثرية إلا أنها تعتبر من الطراز الثانى أو المرتبة الثانية إذا قيست ـ على مانظن ـ بما فى منطقة قنا التى تعتبر مهد الحركة الديرية المعروفة بحياة الشركة من نظام وقوانين القديس باخوميوس فى القرن الرابع وكذلك منطقة سوهاج وأخميم التى كانت خاضعة لنظام وقوانين الأنبا شنودة فى القرن الخامس الميلادى وأهم أديرته الشهيرة فى جميع كتب التاريخ والآثار الدير الأبيض والدير الأحمر .

ونحن نعلم أن المغفور له الأمير عمر طوسون كان قبيل وفاته عليه رحمة الله

قد اهتم باحصاء هذه الأديرة وبدأ فعلا فى جمع مادة البحث عنها من طئة لاجراء بعض الحفريات فيها ، ولكن المنيّة للأسف لم تمهله ؛ وعلى ذلك بقى العمل الذى بدأه دون أن يكتمل ، ونود إن شاء الله أن تكون كلية الآداب بجامعة فاروق الأول هى السابقة لاتمام هذه المهمة شيئاً فشيئاً بقدر وإن يكن متواضعاً إلا أنه بداية لابأس بها وأقل نتائجها هى توجيه أنظار طلاّب قسم الآثار لهذه الناحية المهملة من الدراسات الأثرية ، حتى إذا ما تخرجوا وشغلوا وظائف التفتيش بمصلحة الآثار استفادوا وأفادوا من ملاحظة الآثار المسيحية إلى جانب الآثار الفرعونية .

وهنالك ملاحظة عامة جعلناها موضع توجيه لأنظار الطلاّب عند زيارة المعابد القديمة ومشاهدة التماثيل الوثنية القديمة وما أصابها من التلف والتشويه إذ أن ذلك لم يكن من عاديات الزمن فحسب بل كان أثراً من آثار حملات التخريب المسيحية بقيادة الرهبان والمبشرين الذين قصدوا من ذلك القضاء على آثار الوثنية البائدة بتحطيم تماثيل الآلهة والملوك القدماء حتى أنه يندر أن نجد أحدها إلا وقد شُوّه وجهه تشويها .

وفى الختام يتضح لنا أن آثار المسيحية التى بدأت تستلفت أنظار البحاثة والمنقبين والحفارين من الاجانب والمصريين جديرة بكل عناية وأن الحفر بين جنباتها ليس وقتاً أو مالاً مضيّعاً .

عزيز سوريال عطيه

٥ / ٤ / ١٩٤٩